استنباط الأحكام الشرعية من خلال القصص القرآنية

الأستاذ الدكتور
محمد حسن علي مجيد الحلي
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

مقدمة:

دلالة القصة القرآنية على الحكم الشرعي:

لقصص في القرآن الكريم دلالات مهمة على الاحكام الشرعية، لما لها من دور أساس في عملية التغيير في المجتمع ولما تتضمنه من دروس وعبر تكشف عن سنة الله في خلقه من خلال دعوة الانبياء للأمم في توحيده وبناء دولة الحق والعدل الالهي، كما تتضمن في طياتها أحكاماً ظاهرة أو ضمنية في الأحكام الشرعية التي تمثل القاعدة الأساس في حركة الأنبياء وشرعية دعوتهم التي حددها الباري - عزّ وجل - وما يتضمن من أهمية المعرفة بآيات الأحكام من خلال قصص الأنبياء بشكل خاص ولاسيما في القصص التي ذكرت النبي موسى عليه السلام لأنها من أطول القصص في القرآن الكريم وأكثرها وضوحاً وتكراراً مما يدل على أهميتها والتي تتضمن الكثير من الأحكام الشرعية، وعلم الكلام والعقائد وأصول الدين وعلم التفسير وغيرها مما يعين في فهم السنة المطهرة، ولأن الأحكام الشرعية هي من أهم علوم الدين، لأنها تمثل النظام التشريعي للمجتمعات الإنسانية.

المبحث الأول

أهمية العلم بالأحكام الشرعية الأساسية

ويشمل اقسام العلوم الشرعية الآتية:

١- علم الكلام وعلم العقائد وعلم أصول الدين.

٢- علم الكتاب العزيز، علم التجويد وعلم القراءة وعلم التفسير.

٣- علم الحديث لفهم السنة المطهرة، وهو أهم العلوم بعد علوم القرآن الكريم.

٤- علم الفقه: وهو العلم بالأحكام الشرعية من أدلته التفصيلية.

وبهذا يمكن القول أن لكل موضوع يبحث فيه من عوارضه الذاتية وتعود أهمية وشرف العلم بشرف موضوعه، ومما لا شك فيه أن معرفة الأحكام الشريعة هي من أشرف الأحكام لأنها تمثل النظام التشريعي للمجتمعات، ويمكن باختصار ايجاز أهمية هذا العلم بحسب ما ورد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١].

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣].

وبحسب ما ورد في التفسير أنه ليس المراد من العلماء مطلق العلماء - وإن كان يشملهم - ولكن المراد الحقيقي منهم خصوص علماء الشريعة بان من عرف الحلال والحرام وأحكامهما الصادرة منهما جزءاً لابد أن يكون اكثر خشية من الجاهل بالأحكام والتفقه هو تعلم الأحكام وأخذها من مصادرها، وقد ورد في بعض المصادر أن رسول الله ﷺ عندما كان يذهب إلى الجهاد لم يكن يجبر كل مسلم أن يسير معه بل كان يبقي قسماً منهم لتعليم العلوم الإسلامية ممن لا يستطيعون القتال ليعلموا اصحابهم المجاهدين عند رجوعهم من القتال[٤] لأن معرفة الشريعة وأحكامها تعد من أهم العلوم وأرفعها، ولذلك يمكن الإفادة منها في المجال القصصي في الدراسات القرآنية واللغوية وفي كيفية الاستدلال على الأحكام الشرعية، وفي الدراسات القرآنية والفقهية من خلال دراسة نوع أدبي في القصة القرآنية ودلالاتها على أن استنباط ودراسة الأحكام الشرعية قديم يعود إلى العصر الإسلامي الأول وان كتباً كثيرة ألفت في هذا المجال فيها مجموعة من الأحكام العقائدية، وان شريعة خاتم الأنبياء ﷺ هي امتداد لشرائع الأنبياء قبله ومكملة لها، أما تفسير تلك الآيات فلكل قصة من القصص دلالاتها حسب طبيعة الموضوع ودعمه بالدليل الشرعي والنقلي وبالدلالة اللفظية، ومن أهم المباحث وأشهرها كتاب (أحكام القرآن) لمحمد بن السائب الكلبي وهو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام و(أحكام القرآن) لأبي بكر الرازي (ت٣٧٠هـ)، و(فقه

القرآن) لقطب الدين الراوندي (ت٥٧٣هـ)، و(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (ت٩٧١هـ) وغيرها الكثير... على أننا سوف نحاول استنباط بعض الأحكام الشرعية من خلال قصص موسى عليه السلام لأنها أكثرها وروداً في القرآن وأكثرها في دلالاتها على الأحكام الشرعية.

دلالة القصة:

إن الكثير من قصص الأنبياء في القرآن الكريم تكشف بيان حياتهم ومعاناتهم، كما جاء مثلا في بيان حياة موسى ومعاناته ونضاله من اجل إيصاله رسالته فقد كان بنو اسرائيل أذلاء تحت حكم الفراعنة، ولكن قضت المشيئة الالهية بتسليط الضعفاء على الأقوياء وإبادة مليكهم[٥]، وقد كشفت الآية المباركة أن فرعون قد علا في الأرض، والمراد بـ (العلو): الكبر والتكبر والطغيان والاستعلاء، وهو سلوك مذموم، وقد عده بعض الفقهاء أنه من المعاصي الكبرى، وقد ذمّ القرآن الكريم المتكبرين، وقال تعالى ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[٦] وقال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾[٨].

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه حبة إيمان))[٩] وفي ذم الكبر أنه نقل عن الإمام الصادق عليه السلام، قال (الكبر رداء الله، فمن نازع الله شيئا من ذلك أكبه الله في النار)[١٠]، كما نجد في آيات أخرى كثيرة تكشف عن الارادة الالهية أن يكون المستضعف هو، الحاكم ويكون المستعلي هو المحكوم كفرعون وأمثاله، وهذا يقتضي عملية تغيير في بنية المجتمع تبدأ من داخله، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١١].

حكم رضاعة الأم لطفلها:

قال تعالى مخاطباً أم موسى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٢].

دلالة القصة في مسألة الرضاعة:-

لما أمر فرعون بقتل كل طفل يولد حتى لا تتحقق نبوءة المنجمين بمولود منقذ للناس من بطش فرعون وطغيانه، وخافت أم موسى عليه من القتل أن ابقته عندها وأرضعته وكانت مترددة في ذلك ألهمها الله تعالى بالوحي التكويني بوجوب ارضاعه خلال هذه المدة فرمته في اليم وان الله سبحانه حافظه وراعيه وقد تحقق العدل الإلهي، ورجع الطفل إلى احضان أمه من البحر.

وهكذا فان للآيات دلالتها في القصص القرآني على الأحكام الشرعية، ومن تلك الأحكام: حرمة الاستعلاء والتكبر على الاخرين، قال تعالى في ذم الكبر والمتكبر في صورة الدخان (٣١/٣٠) ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[١٣].

كما أن بعض قصص الأنبياء تكشف عن حياتهم وسيرهم في الناس وسلوكه معهم - كما جاء مثلا من بيان حياة موسى عليه السلام ومعاناته ونضاله في تبليغ رسالة السماء، حين كان بنو اسرائيل أذلاء تحت حكم الفراعنة، ومشيئة الله وقضائه في نصرة الضعفاء على الأقوياء وإبادة ملكهم، وقد كشفت الآيات المباركة من أن فرعون قد علا في الأرض وتكبر، فالمراد بـ(العلو) الآية الكريمة السابقة: الكبر والاستعلاء، وهو سلوك مذموم في البشر وقد عده بعض الفقهاء من المعاصي الكبيرة، كما ذم القرآن الكريم المتكبرين، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾[١٤]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[١٥] وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾[١٦].

دلالة الآية الكريمة في الحكم الشرعي:

لقد دلت الآية من قوله تعالى ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ على وجوب الرضاعة، وكما قيل في علم الأصول أن صيغة الفعل ظاهرة من الوجوب وبحسب حكم العقل، إلاّ إذا دلّ على دليل على الجواز، والمعلوم شرعاً وبحسب الدلالة القرآنية أن مدة رضاعة الأم لولدها سنتان، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾[١٧] والآية المبارك تشير إلى أن الرضاعة من حق الأم ولكنها ليست واجبة عليها،

والدليل قوله تعالى ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ فالشرطية هنا واضحة في الدلالة على عدم الوجوب لكنها ضرورة للحفاظ على الطفل المولود، لذلك نجد عدداً كبيراً من الفقهاء يفتون بعدم وجوب الرضاعة إذا كان فيه الضرر المحتمل أو القطعي، لذا انتقل الحكم الشرعي في حق الأم وانتقل من الجواز إلى وجوب ترك الرضاعة من اجل الحفاظ على الطفل، وانه سيكون تحت الرعاية الإلهية قال تعالى ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[١٨] اذن فالرضاعة خلال الحولين الأوليين من حق الأم، ولا يحق للأب اعطاء الطفل إلى مرضعة أخرى خلالهما، فكان من عدل الله سبحانه إرجاع موسى لأمه وأفاض من كرمه على ولدها، أن جعله نبياً ومن أولي العزم، قال تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٩].

وبعد استنباط دلالة الآية الكريمة على الحكم الشرعي المتعلق بالرضاعة تبين أن الآية تدل على أن إرضاع الطفل ليس أمراً لازماً للأم، بل هو حق لهذا بقرينة قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[٢٠].

هذا أولاً: ولكن يجوز التنازل عن هذا الحق برضى المرضعة بمقابل أو بدونه.

ثانياً: أن مدة الرضاعة حولان كاملان لمن اراد إكمالها ولا يجري اي حكم بعد الحولين من نشر حرمة بين المرتضعين أو اثبات بنوة الطفل ووالد الطفل وغير ذلك من الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع.

الآية الثالثة: في مسألة (رمي الطفل في اليم)

قال تعالى ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[٢١].

دلالة الآية على الحكم الشرعي:

يمكن القول أن الآية الكريمة تتضمن حكماً شرعياً، وذلك مما يستفاد منه في هذا الحكم الشرعي من فضله تعالى وحكمته وإدارة هذا الكون من إرادته تعالى في تحقيق العدل الإلهي وتغيير الامور لصالح الخلق، ومعلوم أن الإنسان العامل لابد أن يستفيد مما يحكم الله

به ويقدره في الوجود، لأن أفعاله وأوامره كلها حسنة وفي مصلحة خلقه. وهذه (اولها) (وثانيها) أن الغرض من وجود القصة القرآنية هي دروس وعبر في وجوب أو حرمة أو اباحة أو استحباب أو كراهية، فالقصة القرآنية تتضمن هذه المعاني وتتضمن أحكاماً شرعية فيها، ومنها جواز الاختراق الأمني للعدو، وقد يصل إلى حد الوجوب الشرعي وهذا يستفاد أيضاً من قوله تعالى ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾، وهذا الحكم يوضح نوعية الحكم الشرعي وبذلك فقد اخترق العزيز بقدرته تعالى السلطة الفرعونية مع كل احتياطاتها حتى أوصل المولود إلى قصر فرعون من حيث لا يشعر حتى يحاسب ويؤدب هذا العبد الذي استعلى في الأرض وأدعى الالوهية، وقد كان هذا الاختراق الأمني مما لا إشكال فيه لدى العقلاء وعما يقررونه، وقد أكد التنزيل الحكيم ذلك في مواجهة العدو على سبيل (الضربات الاستباقية) في اللغة المعاصرة، أو ما كان يخشى من العدو، وقال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٢٢] والآية المباركة تدل على قاعدتين من قواعد الحرب[٢٣] الأولى: لزوم الاستعداد العسكري بكل ألوانه من غير تخصيص لوقت معين لمواجهة الأعداء والكفار وارهاب قلوبهم، وأيضاً مما جاء في قضية موسى عليه السلام مع شعيب من قوله تعالى ﴿أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢٤].

الثانية: تدل على أن الشيخ الكبير (نبي الله شعيب) اراد مجازاة موسى عليه السلام على فعله الحسن، وهو سقي بناته الماء بعد ازدحام الرعاع على الماء، وكانت المجازاة تزوجيه من احدى ابنتيه، بشرط أن يكون مهرها العمل لديه ثمان أو عشر حجج (سنين) وقد وافق موسى عليه السلام على ذلك وكان ما فعله شعيب ضمن المنطق العقلي والاجتماعي والشرعي، فانه في عرضه الزواج من احدى ابنتيه تخلص من كثير من الاشكالات، لأن النبي شعيب عليه السلام كان له ست أو سبع بنات ووجود رجل غريب معهم من غير اي التزام اخلاقي أو شرعي سيكون محل ريبة، مع إيقاع الزواج رفعت كل تلك الإشكالات وصارت بقية البنات محارم على موسى عليه السلام بعد الزواج.

دلالة الآية المباركة على الحكم الشرعي:

في هذه المرحلة أو المقطع الذي حكى قصة موسى عليه السلام في منطقة (مدين) تتضمن حكماً

شرعياً، وهذا جواز أن يكون المهر منفعة ما، كالعمل مثلاً، وعلى شرعية الإجازة، فهي من الأصول العقلانية بين الناس فحكم الشارع المقدس حدد أن تكون المنفعة في الإجازة محللة لا محرمة...

ومن الأحكام المستفادة أيضاً من هذه الآية المباركة بولاية الأب على بناته، فانه لا يصح العقد إلاّ بإذن ولي البنت إلاّ في بعض الموارد التي تتنافى مع حقوق البنت أو تتعارض مع ولاية الأب، كأن يكون الزوج صالحاً والبنت راشداً، فهنا لا يحق للأب منع الزواج، قال الرسول ﷺ (من جاءكم ترضون دينه وخلقه فزوجوه، فإن لا تفعلوا تكن فتنة وفساداً في الأرض)...

ثم أن المهر شرط في صحة العقد المبيح للاستمتاع بالزوجية وله الحق في الاستمتاع عند دفع المهور، قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٢٥] فانه مع تحقق النكاح وجب المهر، قال محمد بن سالم: سألت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (متى يجب المهر، فقال (إذا دخل الرجل بالمرأة)[٢٦]، قال السيد وقيل (للمرأة الامتناع من التمكن قبل الدخول حتى تقبض المهر إلاّ أن يكون المهر مؤجلاً، فلا يجوز الامتناع، وإن حل الأجل)[٢٧].

وجوب التعاون على البر والتقوى:-

الآية ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾[٢٨].

المبحث الأول

دلالة القصة

تدل هذه الآية الشريفة على حدث مهم في حياة موسى عليه السلام مثل بداية مواجهته لفرعون وعصره والسبب أنه دخل إلى المدينة وقت المغرب، وهو وقت تكون فيه الأسواق معطلة إذ يرجع الباعة إلى مساكنهم، ولذلك عبر القرآن ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾، وعند دخوله وجد اثنين من بني اسرائيل يقتتلان الأول مستضعف والآخر مصري قبطي، وكانت القوة له فاستغاث الاسرائيلي بموسى بوصفه احد شخصيات البلاط الفرعوني العادلين والناصرين

للمستضعفين، فنصره موسى، ولشدة قوة موسى ضرب المصري بضربة واحدة فقتله عبر القرآن الكريم عن ذلك ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ فإن الفاء هنا تدل على التعاقب في الفعل والحدث وتدل أنه على الرغم من مدة حياة موسى في القصر الفرعوني، إلاّ أنه لم يتأثر بطبيعة السياسية الفرعونية الظالمة التي تعيش على التكبر، إنما بقى موسى محافظاً على فطرته السليمة التي هي فطرة الله تعالى، وهي فطرة العقل الذي يرفض الظلم والاستبداد والاستعلاء، لذلك فإن موسى ما أن وجد استغلال المصري لصاحبه المستضعف وقف إلى جانب الضعيف ونصره على المصري المستكبر.

المبحث الثاني

دلالة القصة على الحكم الشرعي

أول ما تدل عليه الآية المباركة على اصل عقلاني تسالم عليه العقلاء وهو وجوب الإعانة على البر والتقوى، وثانياً حرمة الاستعانة على الاثم والعدوان وهي تدخل تحت قاعدة الحسن والقبيح العقليين، فإن العدوان قبيح عقلاً، وإعانة المظلوم حسن عقلاً، ولذلك نجد موسى عليه السلام تحرك بحكم لاعقل لنصرة المظلوم اليهودي عندما تبين له أنه مستضعف مظلوم، فنصرته هنا للمظلوم واجبة. فقال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢٩] بل أن موقف موسى عليه السلام يتناسب مع الحكم الشرعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٣٠] حيث تدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل الخيرية له على بقية الناس، لأنه مواز للإيمان بالله تعالى وتؤكد روايات أهل البيت عليهم السلام أنه من غير التعاون على البر والتقوى لا يصلح حال البرية فإن المعروف من البر والصلاة والصوم والجهاد وبناء الدولة وتأسيسها وإرجاع حقوق الناس من خلال الدولة هو من أعمال البر، فلو تركت الامة هذه الفريضة لعمهم البلاء، ففي حديث محمد بن عرفة قال (سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم)[٣١] وعن النبي صلى الله عليه وآله (لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإن لم يفعلوا ذلك نزعت عنهم البركات وسلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم من ناصر في الأرض ولا في السماء)[٣٢]، وهنا نؤكد أن موقف موسى عليه السلام مع

القطبي والاسرائيلي كان موقفاً عقلانياً، وقد ثبت في علم الأصول أن كل ما حكم به العقل حكم به الشرع، وهذا ما نسميه بالمستقلات العقلية، فإن العقل له الاستقلالية في باب تحديد الحسن من الافعال أو قبحها...

مبحث التقنية:

قال تعالى ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾(٣٣).

ودلالة القصة هنا بعد أن قتل موسى القبطي خطأً، ووصل الخبر إلى فرعون وجنوده، أمر فرعون بقتل موسى أينما وجد، ولكنه من حسن حظ موسى عليه السلام أنه كان واحدا من أصحاب القرار في القصر الفرعوني من يحب موسى، وانه كان من رجال السلطة، ولكن كان في حقيقته من أنصار (موسى) فأسرع وأخبر موسى سراً بقرار القتل، وكان هذا الرجل يخفي حبه لموسى تقية وهو يعمل في السلطة الفرعونية(٣٤) فعندما أخبره صاحبه الذي كان في سدة السلطة هرب من القتل متجهاً إلى (مدين) فالتقى بالصدفة أو بإحياء من الله تعالى بالنبي شعيب عليه السلام بعد أن قطع موسى مسافة طويلة ماشياً(٣٥) حين اطمأن موسى لقول صاحبه الناصح له(٣٦)، وقد جاء سرد هذه القصة في اخبار احد محبي موسى ممن كان يشتغل في القصر الفرعوني في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٣٧).

دلالة القصة في حكم الفقه:-

تدل الآية الكريمة على حكم التقية من حيث الرجل الذي أخبر موسى بنية فرعون بقتله، الذي كان يتظاهر بالولاء لفرعون وملائه، ولكنه كان يخفي ولاءه، وهذه هي التقية التي أباحها الشيعة في الأحوال الاضطرارية، عند وقوع الخطر توقع وقوع البلاد فانه بحكم العقل بدفع الضرر المحتمل أو في الضرر المتيقن لذلك فإن القصة في هذه الآية المباركة حكماً شرعياً، وإلاّ لماذا اخبر ذلك المصري باحتمال الحاق أو قرار قتله، وقد اكثر ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

كما يدل قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ وقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٣٨].

أما حكم التقية في الروايات والسنة المطهرة فقد قال الإمام ابو جعفر الباقر عليه السلام (إنما جعل التقية ليحقن بها الدماء، فاذا بلغ الدم فليس تقية)[٣٩]، وقال الصادق عليه السلام (لا يسلم من لا تقية له)، وقال عليه السلام لأحدهم (التقية ديني ودين آبائي)[٤٠] وعن هشام الكندي، قال (سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول في حديث طويل له (والله ما عبد الله بشيء أحب وإليه من الخباء، قلت وما الخباء؟، قال: (التقية)[٤١]، ولكن التقية ليست دائماً وفي كل حال، إنما هي خاضعة للظروف المكانية والزمانية وقد خضعت وحكمت بالأحكام التكليفية، يقول الشيخ الانصاري: أما الكلام في حكمها التكليفي فهو أن التقية الواجب فيها ما كان لدفع الضرر وأمثلته كثيرة[٤٢]، وهذه التقية من الأحوال النظامية التي شرعها الإسلام حفظاً للنظام وتأليفاً بين الأنام وانها ترجع إلى القاعدة العقلية التي قررتها الشرائع السماوية وهي (تقدم الأهم على المهم) لذا فتكون التقية من القواعد العقلية والشرعية ولا ريب في جوازها بل انها من القواعد المسلم بها لدى الجميع والمتمركزة في الأذهان ولا تحتاج إلى اقامة البرهان، لأنها عرفت من صغريات قاعدة (تقديم الأهم على المهم) التي هي من القواعد الفطرية[٤٣].

مبحث آخر في الاستنباط..

اشكاليات اختلاط النساء بالرجال:

وما جاء في الآية المباركة حول النبي موسى عليه السلام ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[٤٤].

دلالة القصة التاريخية:

لما خرج موسى عليه السلام من منطقته في مصر بعد قتل القبطي ودخل مدينة مدين وحل عند بئر فرأى رجالاً يسقون وبمعزل عنهم امرأتان تنتظران السقي لأنهما لا يحبذان الاختلاط بالرجال وهن من بنات الأنبياء بنات النبي شعيب عليه السلام فلما رأى موسى هذا الموقف لم يعجبه لأنه خلاف الأصول البشرية والعقلانية التي توجب احترام المرأة، وعدم رغبتهما بالاختلاط بالرجال لأنه ضد الاخلاق، فقام بنفسه وسقى لهن الماء، وللاعتذار عن

حضورهن للسقي مع وجود الرجال، فإن ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

أي لا يستطيع مدافعة رعاع المزدحمين حول الماء(٤٥).

دلالة القصة على الحكم الشرعي:

من الواضح أن وقوف بنات شعيب عن المحتشدين هو الاعتزال عن الرجال والاحتياط من بنات نبي من الاختلاط بالرجال، فحكاية حالهما في هذه القصة وموقفها من عدم السقي ومزاحمة الرجال. قال تعالى ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ...﴾ ومعنى الذود هو الطرد يقول الراغب الاصفهاني في مادة (ذود): ذواته عن كذا (اذوده أي أطرده)(٤٦)... قال الشاعر:

أبيت على سرب القوافي كأنما أذود بها سرباً من الوحش نزعا(٤٧)

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ الصدر عن الشيء الرجوع عنه.

اذن فالآية فيها دلالة على أصل من الأصول الاجتماعية، وهو أن الاصل في الشرع هو عدم اختلاط المرأة بالرجال لأنه خلاف الحشمة وحفظاً لكرامتها وحياتها وعدم خروجها من بيتها إلاّ للاضطرار مما لا يؤدي إلى سقوط المرأة في حبائل الرجال، كما أن القصة تتضمن حكماً آخر ملازم لهذا الحكم هو أن الضروريات تبيح المحظورات حين يكون الأب رجلاً كبير السن أو مريضاً أو ليس لديه ولد يساعده فقد يتغير هذا الحكم الشرعي بسبب تغير موضوعه وظروفه فقد يقدر حكم عدم خروج النساء أو الاختلاط بالرجال لسبب قاهر، لذلك وجدنا ابنتي شعيب تخرجان مضطرتين لسقي الماء ولكننا وجدناهما تقفان على مبعدة من الرجال دون الاختلاط بهم وهذا ما كشفت عنه القصة القرآنية المباركة على لسان ابنتي شعيب، فانعزالهما عن الرجال حال السقي وانتظارهما منه كان بمقتضى الاحتياط وهذا مما يوافق الشرع..

وقد وردت الآيات المباركة في مثل هذه الموارد في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾(٤٨) فإن الآية الكريمة تدل على وجوب رعاية العفة من نساء النبي عليه السلام والمؤمنات فإن التبرج ملازم للظهور المحرم أمام الأجانب كما كان في الجاهلية، كما هو موجود الكثير منه في زماننا هذا...

provisions through the Quranic Stories

Prof. Dr.
Mohammed Hassan A. M. Al-Hilli
Professor at the Islamic University College -
Al-Najaf Al-Ashraf

The Indication of Quranic Story on the legal provision

Abstract:

The quranic stories have significant indications on the legal provisions, which have an essential role in changing the society behaviour. They include lessons and cross which reveal the norm of God in his creation through the prophet's summons for nations to the unification of Allah and establishing a state of divine truth and justice. They also contain apparent or implicit provisions which represent the basic rule in the movement of the prophets and their summons that defined by Allah. It includes the significance of the Knowledge of provisions verses, in particular through the prophets' stories, and especially the story of Moses which is the longest story in the holy Quran. This story is the most obvious, and repetitive one which considers the most important one. It implicates many of the legal provisions, theology, the fundamental of religion, the interpretation science, etc., which play a substantial role in understanding the Holy Suna. That's to say, the legal provisions are the most important science among the religion sciences which represents the legislative discipline for the human societies.□

هوامش البحث ومصادره

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

(٢) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٣) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٤) مجمع البيان، الطبرسي، ٦٥/٦.

(٥) القصص القرآنية، جعفر البجاني، ٢٥/٢، ط٢.

(٦) سورة الأعراف، الآية ١٣.
(٧) سورة البقرة، الآية ٣٤.
(٨) سورة الأعراف، الآية ١٤٦.
(٩) الترمذي، ٤٨٥/٧.
(١٠) وسائل الشيعة، باب ٣، ص٣٩٩.
(١١) سورة القصص، الآية ٥.
(١٢) سورة القصص، الآية ٧.
(١٣) سورة الدخان، الآية ٣٠ - ٣١.
(١٤) سورة البقرة، الآية ١٣.
(١٥) سورة البقرة، الآية ٣٤.
(١٦) سورة الاعراف، الآية ١٤٦.
(١٧) سورة البقرة، الآية ٢٣٣.
(١٨) سورة القصص، الآية ٧.
(١٩) سورة القصص، الآية ٧.
(٢٠) سورة البقرة، الآية ٢٣٣.
(٢١) سورة طه، الآية ٣٨ - ٣٩.
(٢٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.
(٢٣) دروس في آيات الأحكام، للإيرواني، ٢٤٠/١.
(٢٤) سورة القصص، الآية ٢٧.
(٢٥) سورة الممتحنة، الآية ١٠.
(٢٦) قلائد الدرر في بيان الأحكام بالأثر، الجزائري، ٨.
(٢٧) جامع الأحكام للسبزواري، ٤١٦.
(٢٨) سورة القصص، الآية ١٥.
(٢٩) سورة المائدة، الآية ٢.
(٣٠) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
(٣١) وسائل الشيعة، ج١، ب١، ص١١.
(٣٢) تهذيب الأحكام، ج١٨١/١ رقم ٣٧٣، نقلاً من دروس تمهيدية في آيات الأحكام - للإيرواني.
(٣٣) سورة القصص، الآية ٢٠.
(٣٤) القصص القرآني، ج٤٤/٢.
(٣٥) راجع: تفسير القصة في مجمع البيان، ٤٣٥.

(٣٦) القصص القرآني، ج٢/٤٤.
(٣٧) سورة غافر، الآية ٢٨.
(٣٨) سورة النحل، الآية ١٠٦.
(٣٩) الوسائل، ج١١، ص٤٨٣.
(٤٠) كتاب (الوسائل) المطبوع، نقلاً عن (بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ص٤٣).
(٤١) الوسائل، ج٢/١٧١.
(٤٢) رسائل في التقية، ٣٢٠.
(٤٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري، ٣٣٨.
(٤٤) سورة القصص، الآية ٢٣.
(٤٥) القصص القرآني، ج٢/٤٤، جعفر السمعاني.
(٤٦) مفردات الالفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٢٠٥، مادة ذود.
(٤٧) اعراب القرآن الكريم، محي الدين الدروس، ح٥، ٨٨ - ٨٩.
(٤٨) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.